

ديوان "المشاهد" لأحمد نبوي قراءة في آليات الإبداع

Diwan "viewer" for Ahmed Nabawi read in the mechanisms of creativity

د. راضي جلال عبد الحفيظ*

كلية الآداب، جامعة الطائف، دولة السعودية

تاريخ النشر: 31 جانفي 2019

تاريخ القبول: 2019/01/23

تاريخ الإرسال: 2018/12/17

ملخص:

تقوم فكرة البحث على رصد التشكلات التي اتبعها الباحث في بناء خطابه الشعري وهي التي عكست امتياع الشاعر من مشارب عدة وارتباده مناخي كثيرة في سبيل توفير إمكانات تضفر الدلالة وتظهرها ، فالسير على وتيرة واحدة في صوغ وتشكيل الخطاب الشعري قد لا يتماشى مع احتياجات المتلقي المعاصر الذي ما عاد يتذوق النص كما كان ؛ ربما بسبب ما أطبقت عليه الحياة من متاعب وانشغالات ، الأمر الذي كلن لزاماً على المبدع أن يرد اليه المتلقي ردا جميلا إلى خطاباته ، ومن ثمّ حشد في نصوصه آليات تبعث التجديد في نفس المتلقي ،ومن ناحية أخرى كلما عدد المبدع طرقه وآلياته في تكوين خطابه كلما تكشفت الدلالات وانجست تحت قلمه .

وفي هذه الأوراق كشفت عن طرق انتاج الدلالة عند المبدع وهي (السردية – التشكيل البصري – الدرامية) وغيرها.

كلمات مفتاحية: السردية، الدرامية، التشكيل البصري، التشكيل

Abstract:

The idea of research is to monitor the patterns followed by the researcher in the construction of his poetic speech, which reflected the poet's enjoyment of many walks and walks of many walks in order to provide possibilities to encode and show significance, , A single pace in the formulation and formation of the poetic discourse may not be in line with the needs of the contemporary recipient who no longer

tasted the text as it was; perhaps because of the life of the troubles and concerns, which is necessary for the creator to respond to the recipient a beautiful response to his speeches, And then mobilize in its texts mechanisms that inspire renewal in the same recipient, and on the other hand whenever the creator of his methods and mechanisms in the composition of his speech whenever revealed signs and entangled under his pen.

Keywords:

The narrative, Drama, Optical configuration, Formation

*أستاذ مساعد، بكلية الآداب جامعة الطائف، دولة السعودية.

مقدمة

قراءة الشعر مغامرة قد تكون غير مأمونة الجانب خاصة عند النصوص المتميزة في إبداعها، وعند قراءة الشعر الحديث خاصة؛ لأن المبدع يوظف فيه آليات كثيرة طلبا لإنتاج الدلالة، واعتقد أن دور المتلقي بات صعبا بعدما أصبح النص صعب المراس في ضوء تلك الوسائل التي يضمنها المبدع نصوصه ، وفي ضوء ما تقدم نحاول قراءة ديوان المشاهد لأحمد نبوي كاشفا - قدر الطاقة - عن بعض هذه الآليات.

بالنسبة للديوان يكاد يتسم بالوحدة العضوية من خلال تناوله لموضوع واحد ، حيث نجده ينصب على أمور بعينها وأماكن خاصة فهو يعنون ديوانه " بالمشاهد " وهو عنوان مراوغ عام يخبر المتلقي انه يضم الكثير والمتنوع ، ثم يقوم الشاعر بعملية اختزال لها من خلال تركيزه على "مشاهد من مخيم اللاجئين" الذين جذبت مشكلتهم أنظار العالم وعقول المبدعين ، مضمينين مع الرصد رؤيتهم الخاصة لها من خلال التعبير عنها بتوفير الإمكانيات التعبيرية الدالة عن تلك التجارب من ألفاظ وعبارات وصور تنقل الحمولات النفسية لهم ، كما يعبرون بها عن انعكاس تلك القضية على نفوس اللاجئين ورصد ما يعانونه ويرزحون تحته من أغلال العدوان ، ناعين صمت العالم تجاه قضيتهم .

وعن آليات الرصد لتلك المشاهد نلاحظ أن نبويا يوظف الكثير من هذه الآليات ومنها: تقنية السرد: حيث يقوم المبدع بدور الحاكي لما يحدث؛ انطلاقا من قيمة هذه الآلية في التأثير، وما رسخ في الوجدان العربي من ميل للحكي، فنراه يتكئ عليها ، وذلك بضم أجزاء المشهد إلى بعضها ؛ حتى تكتمل القصة لهايتها ، كما في مشهد "لاجئان" فيقول :

شيخ وسيدة مسنة

يتوكان على زمان مائل

يتوكان على الأصيل

لم يبق من عمرهما

إلا القليل

زرعا الحياة . محبة

في فسحة العمر المديد

وأنشأ بيتا صغير

في لحظة

نسفت براكين المدافع
والصواريخ الشريدة
زرعة العمر الطويل

ففي هذا المقطع نلاحظ اشتغال السرد على النص، والشاعر يوظف تقنية الحكيم لما فيها من أثر فعال لجذب انتباه المتلقي، وكونها آلية متجدرة في وعي الجماعة، وكأي سارد يبدأ بالتقديم لجو القصة، ويحدد شخصياتها: شيخ وسيدة مسنده، تفلت منهما الزمن وأصابهما الوهن ولم يبق إلا الأصيل الذي ينم عن نهاية النهار، وفي شباهما عملا وكدا، وكونا بيتا، ولكن الحرب أتت على ما ادخرا للزمن من مأوى، ونجد دلالة كلمة " في لحظة " لتعكس سرعة الانهيار الذي أصاب حصيلتهما في الحياة، ليجدا نفسيهما في العراء،

وفي مشهد آخر نراه يرصد لنا مأساة من مأس الحرب التي لا تبقى ولا تذر، في وصف الطفل الرضيع فيقول:

في اليوم الأول
بين أنين الطرقات
ظل هلوعا
يصرخ
يتخبط في سيقان تبكي
يبكي
تتبادر من فمه الكلمات
فيغيب عن الوعي قليلا
ويضيئ
ليعود لسيرته الأولى

في اليوم الثاني
جلس حزينا يتأمل
- اشرب
لا يشرب
- كل

لا يأكل

في اليوم الثالث
لم يسلم الحزن ، على الطرقات
لم تنتفض الأرض ،
ولم تبك السموات
حين تعالي صوت « مبحوح »
يعلن ،
أن الطفل - الصارخ -

مات

للطفولة حقوق كثيرة ومعروفة لدى المجتمع من توفير الأمن والرعاية وشتى الاحتياجات التي يطلبها في حياته ، والإحساس بالأم الطفل محرك ومثير للمشاعر ومدعاة للتألم والحزن ، ويسمع الناس عن سقوط ضحايا كثيرين ، ولكن عند سقوط طفل فإن المشاعر تهيج وتتوالى الاستنكارات ويكثر الشجب ، وأحمد نبوي في خطابه الشعري يعكس صورة طفل يبكي في إحدى المخيمات ، ناقلا مأساته عبر مراحل ، تتصاعد فيها مشكلته ، في اليوم يصرخ الطفل نتيجة لاستنكار الذوات له ، وشعوره بالفقد والتشيؤ ، ويضيع وسط صخب الآخرين ، ويضيع صوته وسط هذه الأصوات التي تصرخ ، ولا من مجيب ، وفي اليوم الثاني ينكفئ الطفل على نفسه متأثرا بمشاعر الفقد التي مورست عليه وأحس بها من قبل الآخرين نتيجة لانشغالهم بقضيتهم – تاركا ما يقدم له من مقومات الحياة التي عزف عنها ، ونتيجة لذلك يأتي التصعيد والنتيجة المحتمومة لذلك الشعور الآسيان وهو الموت غريبا ، ولم يحدث تجاوب من أي نوع فلم يرث له أحد ولم تنفعل مظاهر الطبيعة بهذا الحادث الأليم ، بل ظلت جامدة باردة لا ، واعتقد أن هذا الصوت يجسد استغاثة اللاجئيين وسط المجتمع الذي لا يصغي لهم ، غير عابئ بهم ، فهو يؤسس ترميزيا لهذا الضياع والفقد اللذين تعانتهما الذوات العربية وسط المجتمع .

ونلاحظ من خلال المشاهد السابقة سيطرة الحكى والسردية على شكل الخطاب، واعتقد أنه أسلوب مناسب لعرض المشاهد محاولا جذب انتباه المتلقي واستثارته لمضمون هذا الحكى.

ومن الآليات التي وظفها نبوي في خطابه:

الدرامية، وهي تقنية انتقلت من مجال المسرح إلى مجال الشعر ، حينما انفتح الشعر على الفنون الأخرى ، وتداخل الأنواع ، والسمات الدرامية التي وظفها الشاعر متنوعة تدل على ثراء الخطاب وتعدد فنياته منها : شيوخ الحركة في القصيدة مثل قوله في قصيدة الطفلة الأم :

وعلى وثير فراشها

حضنت عروستها

ونامت

كالملائكة الصغار

لكنها

مفزوعة

قفزت على صوت الدمار

هجم العساكر كالجراد

على سكينته أهلها

هجموا كغوغاء التتار

نفثوا بأفواه الشوارع حقدهم

والنار من دار

لدار

فتلملت

حضنت أخاها

— ذاهلاً —

وتباعدت

لاذت

— كما لاذ الجميع —

إلى الفرار

ساروا بهم نحو المخيم

والعيون معلقة

فوق قريتهم

تحملق في البوار
والطفل ،
- من رعب -
ينهنه في جنون
عيناه في كل العيون
دخل المخيم
- مدعنا -
والذل معقود « على طهر الجبين
وبرحمة الأم التي
كمنت بفطرة . أخته .
مالت عليه .
واحتوته في حنايا صدرها
مفجوعاً تبكى
تحاول أن تجاذبه الحوار.

تعكس القصيدة حالة الطفلة وهي تمارس طفولتها البريئة ، ويعكس فعل اللعب مدى البراءة التي تعيشها ، وانغماسها في هذه الممارسة الفاعلة ، المنجذبة بالكلية فيما ، ذاهلة عمًا سواها ، وفجأة دوت المدافع ، فأتجهت لتحاول فعل الخلاص المحتم لأخيها من هذا القصف ، وتحمله وهو غير عابئ بما يحدث حوله ، متيقنة بأن فعل اللعب الحالم الرومانسي قد انتهى وعليها أن تمارس الأفعال الواقعية وهو إنقاذ أخيها من الموت المحقق ، وتقوم بهذا العمل تاركة ذاتها الحاملة لتتحول إلى ذات أخرى مفجوعة مهتمة والذل معقود على طهر الجبين تلك الصورة المفجعة التي تنقل لنا حالة التي كانت طفلة لتتحول بفعل الغدر إلئام تحمل همومها وأخيها ، ونجد الشاعر قد استفاد من توظيف دلالات الأفعال الموجودة في النص مثل (قفزت - ملمت - ساروا - هجموا - تباعدت - مالت - احتوت - كمنت) التي تشيع الحركة في جنبات النص وتضفي عليه حيوية مشعرة المتلقي بمدى الحيرة والقلق اللذين يكتنفان تلك الذات الحائرة ، كما تعكس وحشية فعل العدوان في المخيم ، ومن الآليات الدرامية التي وظفها المبدع الحوار كما في قصيدة رضيع على الرصيف يقول:

- أكلكم لم تعرفوه !؟

- من أمه ،؟!

- ومن أبوه ؟!

- هل مات – فيمن مات – أهله سدى ؟!

- هل ضل – فيمن ضل – حاضنوه ؟!

- هل أخته ، فيمن أصيب ؟!

- هل أخوه ؟!

- إذن دعوه نائماً ،

- دعوه

- لا تفزعوا عيونهم ،

- لا تزعجوه

الحوار سمة من سمات الدراما ، وظفها الشاعر المعاصر لتنقل حمولات نفسية تمور بها نفسه ، وهو آلية تكشف عن حيوية الخطاب ومدى تأثيره في المتلقي مشعرا إياه بمدى أهمية الموضوع الذي وظف من أجله الحوار ، ففي النص نجد الرضيع الملقى بالطريق ، وهو نتاج غياب الوعي الجمعي عما يحدث في الأرض من خراب ودمار وتشريد ، وفجاعة الدمار لم تنس الناس مصيبة الرضيع وتشريده ، ودار الحوار بين الواقفين عن أصله ، عائلته ، مسكنه ، والكل تكتنفهم الحيرة ، ويشملهم الحزن المروع ، ويدور السؤال الراعف عن مصير ذلك الرضيع الذي يرمز للذات الحائرة البريئة والإنسانية الضائعة ، والرحمة المفقودة ، وقد دهمتها الحرب ، وداستها أقدام الجنود ، فنجد الحوار جسم المشاعر الأسيانه تجاه الرضيع .

ومن الوسائل التي وظفها المبدع أيضا :

المفارقة التصويرية وهي تكنيك فني يلجا إليه المبدع ليقوم بمقابلة بين مظهرين أو صورتين متقابلتين ؛ ليدل بها على فكرة ما ، وهي آلية وظفها احمد نبوي لينقل تصوره عما يدور حوله ، ومن الصور التي وظف فيها المفارقة التصويرية .

شيخ « وسيدة » مُسِنَّه

يتوكان على زمان مائل

يتوكان على الأصيل

لم يبق من عمرهما

إلا القليل

زرعا الحياة . محبة ٫

في فسحة العمر المديد

وأنشأ بيتا ٫ صغير ٫

في لحظة ٫

نسفت براكين المدافع ٫

والصواريخ الشريفة ٫

زرعة ٫ العمر الطويل ٫

تعكس الصورة حالتين للشيخ وللمرأة المسنة اللذين أدركهما الكبر بعدما قضيا من العمر عتيا ، فالحالة الأولى يشملها العمران ، والحياة ، والسكينة ، والهدوء ، والسكينة والمعاشية في الحياة واستثمار طاقتهما في فسحة العمر ، وفي لحظة مما يدل على سرعة الفعل تبدل الحدث وما كان تغير كل شيء وحل الدمار محل العمران ، وضاعت تحت وطأتها زراعة العمر ، فنرى الصورة لها جانبين :الأول عمران وسكون وهدوء ، والجانب الأخر خراب ودمار وتشريد ، الأمر الذي يعكس فعل المستعمر الشنيع بأهل البلاد .
وفي سياق آخر يوظف المفارقة التصويرية في قصيدة بعنوان مفارقة يقول :

فوق القرية ٫

كانت بسمه ٫ طفل ٫ تسبح ٫

كان حمام ٫

وملائكة ٫

وعصافير ٫

ودعاء مشوق ٫

وتسايح ٫

ومواويل ٫

فوق القرية ٫

سقطت قنبلة ٫

قنبلتان ٫

ثلاث قنابل

يعكس النص صورتين متقابلتين للقريبة : الأولى تماها الحركة والفرحة ولانطلاقا والبشروايمان ودعاء وأطفال تشيع البهجة والحركة ، وفي المقابل بعد العدوان بعد سقوط القنابل ، يترك المبدع مساحة كبيرة لتوقع ما يحدث ، وما يجرى لأهل القرية من دمار وخراب وتشريد وقتل ، فقامت المفارقة بدور إبراز الدلالة المستكنة خلف الكلمات الدالة .

ومن الآليات التي نجدها في الديوان والتي شكلت دلالات النص :

التعبير بحسد القصيدة ،

وهي طريقة يوظفها الشاعر ؛ ليعبر بها أيضا عما يهيمه من موضوعات ، وهي آلية يقترضها من الرسم والفنون الجميلة ، حيث أصبح الشعر بوتقة صهر لأشكال جديدة تضمنتها القصيدة الحديثة لتخبر عن مضامينها المتعددة المعقدة ، والتي أفرزتها المدنية حول أفراد المجتمع ، وظهرت ما يسمى القصيدة التشكيلية ، التي يحاول الشاعر أن يوظفها كأداة للتعبير ضمن الأساليب الجديدة التي يبحث عنها ، حيث يكون هذا النوع من الكتابة ترجمة لما يشعر به ، واعتقد أنها تقوم بدور اللوحة الزيتية التي يشكلها الفنان ؛ ليث أحاسيسه عبر الشكل الخاص الذي يبدعه

فنجده يقول في قصيدة فتاة الرصيف:

وحين داس السائرون فوقها

تفتحت عيونها

لواقعٍ مخيف

فجففت دموعها

ولملت أعضائها

في

آخر-

الرصيف

يعبر النص عن مأساة فتاة من ضمن الذين داستهم الحرب بأقدامها ، وفرار من الواقع المخيف الخانق ؛ لجأت إلى الحلم الذي يعتبر متنفسا ومعبرا وخلصا لها ، فاستسلم لها ، تخيل الواقع الزاهي الملى بالورد والود والسكينة ، وكل القيم التي افتقدتها في عالمها الواقعي ، وفجأة أفاق على الواقع الأليم على أقدام الجنود ، جمعت أجزاءها المتناثرة

في الطرقات ، ونلاحظ الدلالة الكامنة من الرسم الذي شكله المبدع من كلماته حيث لم يجمعها في سطر واحد ، وإنما عبر عن بعثرة الأشلاء معنوياً والتمزق الشعوري الملازم لها ، والاستلاب الذي تعانیه من خلال جعل الكلمات متفرقة بعيدة لإيحاء المتلقي بمدى فظاعة ما حدث لها .

وفي سياق آخر نجدّه يوظف هذه الآلية يقول :

مرى

مرى

انطلقى

وخذيّني

لعصورٍ لم تتشكل . بعد

شطوطٍ ليس لها من حد

لعلّى إذ أتجول فيها

أعثر فيها على إنسان

أعثر

فيها

على

إنسان

المعاناة أصبحت سمة من سمات العصر الحديث، حيث الانهزامية النفسية والانسحاب ، والقلق ، والهلاوس ، ويتغيا الإنسان / المبدع عصراً تشيع فيه المحبة والسلام ، وعصور لم تتسم بالهدم والانهيار ، فنلاحظ مدى المكابدة التي يعانها الشاعر ، ؛ لذلك يريد مكاناً مثالياً ، تؤسس لقيم التعايش والسكينة ، والتجاوب مع الآخر ، ولكن أين ذلك الإنسان المتسم بصفات حميدة ؟ هل هو من أناسي العصر الذي يعيش فيه ؟ بالطبع لا فهذا الإنسان لا يملك ذلك الرصيد من القيم التي يحلم بها ، بل يبحث عن إنسان من الماضي البعيد الذي يملك تلك القيم ، وهذه الإنسانية ، لا يعرف ثقافة الدمار والتشرد ، وإنما هو يمتلك مخزوناً من التعامل الحسن ، والتدين ؛ ليؤسس قيماً جديدة يعيش الناس في ذراها، فنجد اتجاه الكتابة إلى الخلف عكس الاتجاه .

وفي صورة آخر نجدّه يقول:

فوق القرية .

سقطت قنبلة»

قنبلتان .

ثلاث قنابل

في هذه الصورة نلاحظ المبدع يوظف هذا التشكيل؛ ليجسد حجم المأساة وفضاعة الموقف ، وهول الحرب ، من خلال إلقاء القنابل على القرى والأحياء والناس ، فلم تكتف بوحدة أو اثنتين ، أو ثلاثة ، فقد رصد الشاعر لذلك الغشم بالقوة المفرطة ضد الإنسانية، من خلال الكتابة التي تصف ذلك في تصاعد للقوة ، ويدين هذا العصر الغشوم الذي لا يبقي ولا يذر.

وبعد هذه الإطلالة على ديوان المشاهد حاولت قراءته من خلال رصد آليات التشكيل المتنوعة التي تسلح بها المبدع ليقدم للمتلقي المعاصر صورة هذا العصر الغاشم ، تاركا لمن خلفي استكشاف آليات أخرى فعجائب الشعر لا تنقضي ، وقراءة القصيدة الحديثة لا تعطي معانها لأول قارئ ، فهل من مجيب .